بالسابق إذ ارتبط ـ من خلال بنته حفصة ـ بنفس الرباط الشريف، فكأنّ الرجلين فرسا رهان! يوشك أحدهما ألاّ َ يتقدّم خطوةً إلى الأمام حتّى يتلوه بمثل قياسها أخوه، أوكأنّهما توأمان. ولقد يطابق التوأم توأمه خُلقاً، كما يطابقه خلقةً، ثم لا يخلو تطابق النتائج والغايات من تغاير نسبي، بين مظاهر الانفعال النفسي والسلوك العملي، دقيق دقّة الشعرة، رقيق رقّة القطرة من ندى الفجر على زهرة الياسمين. أجل قد يتمايزان في رفيف المشاعر، أو في أساليب التفكير، أو في وسائل التعبير، أو في طرائق العمل والآراء، أو في فنون الإنجاز والوفاء ... فإذا هذا كلّه قشور، تمايز خارجي ظاهر، إن تكن تطفو معالمه على سطوح السمات والملامح، كاشفة عن جانب من أحاسيس أُناس، فإنّها قد تغوص منطمرة[938] في دخيلة نفوس آخرين. أمّا العبرة فبالجوهر ... فالجوهران لا يختلفان، يتوافقان، فإن لم فيتكاملان، ولقد تواءم في كلا الصاحبين الشعور، ثم تواءم التفكير، ثم حان بعد قليل أن يتواءم أسلوب التعبير. فماذا لو أضاف أبو بكر إلى ما بينه وبين رائده العظيم صلة جديدة هي أجلّ الصلات؟ ماذا لو أنّه تقدّم فخطب الزهراء؟ لو أنّه فعل لجمع الشرفَيْن: الصهر والنسب في آن لحظي بخير النساء، ولكان له خير الأحماء ولربّما أثمر لدوحة النبوة ما يعزّ به اسمه على مرّ الأجيال. وحزم الرأي، وأسرع ذات يوم خايله فيه الأمل، وعطرت جوّه ريح الطمأنينة، إلى الرسول يكاشفه بما يكاد يراوده في رؤى الليل والنهار. قال، وهو موزع بين الرجاء والحياء: يا رسول ا. ولعلّه تردّد هنيهة قبل أن يبوح: خطبت فاطمة يا رسول ا.